النبوة بين المتكلمين والفلاسفة

"دراسة مقارنة"

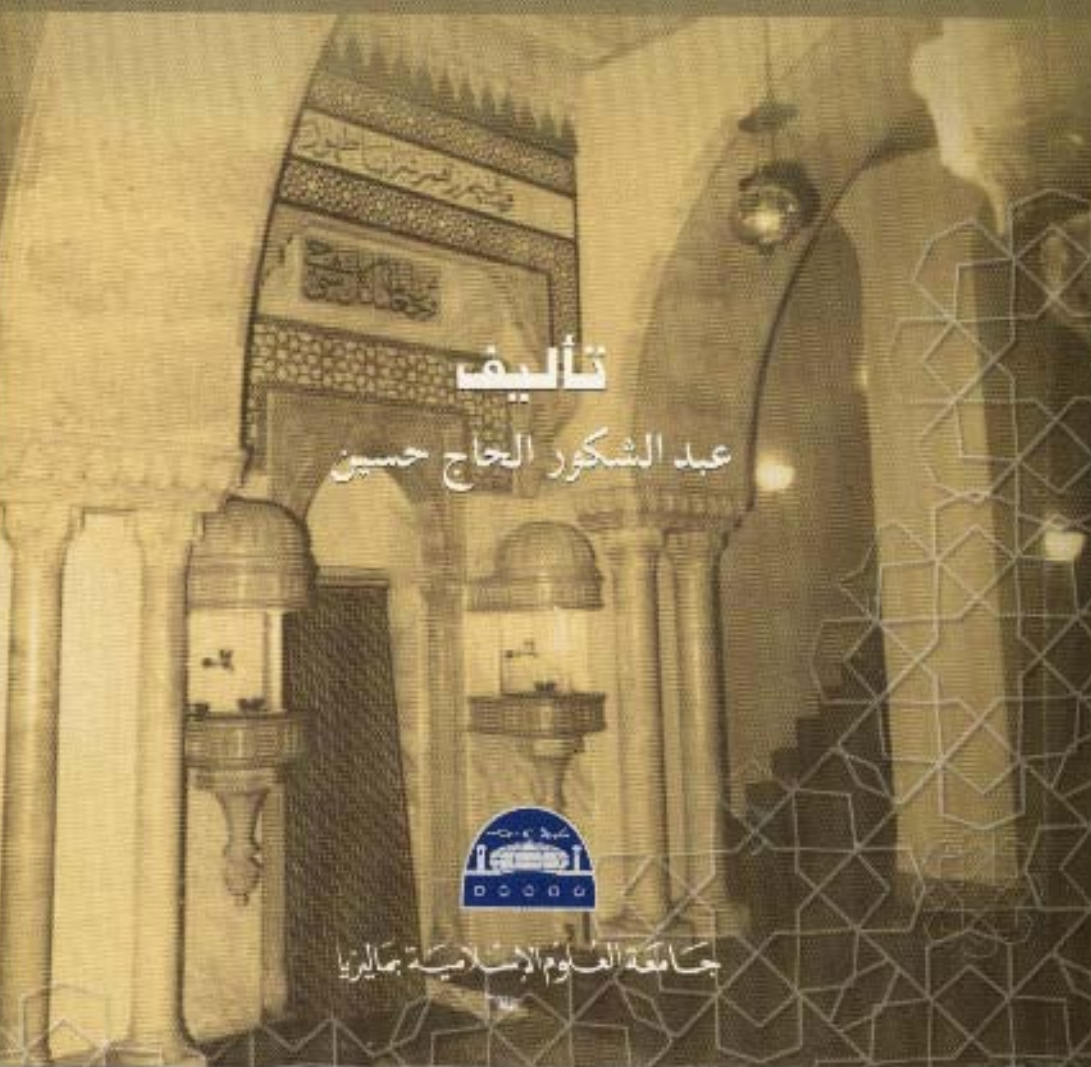

تأليف

عبد الشكور الحاج حسين

جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

النبوة بين المتكلمين والفلاسفة
دراسة مقارنة

Perpustakaan KUIM
Unit Arkib

النبوة بين المتكلمين والفلاسفة

دراسة مقارنة

الأستاذ الدكتور عبد الشكور بن الحاج حسين
الإجازة العالية، ماجستير ودكتوراة (الأزهر)
دبلوم في التربية (عين شمس)
مدير جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

الطبعة الأولى 2003م/1424هـ
© كل الحقوق محفوظة لجامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

رقم التسلسل الدولي ISBN 983-41007-2-8

لا يسمح بإعادة طبع أو تصوير كل أو أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل من الأشكال الإلكترونية، أو الآلية بما في ذلك التصوير أو النسخ أو التسجيل الصوتي أو التخزين الإلكتروني إلا بموافقة خطية مسبقة من الناشر.

الناشر
قسم النشر
Kolej Universiti Islam Malaysia / جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا
Tingkat 11, Menara A, Persiaran MPAJ, Jalan Pandan Utama,
Pandan Indah, 55100 Kuala Lumpur.
Telefon : 03-42892139 Faks : 03-2892129

الطابع
AS Printer Industries Sdn. Bhd.
No. 6 Jalan Bunga Tanjung 10,
Taman Saraya, 56100 Kuala Lumpur.
Telefon : 03-42961860 Faks : 03-42974743

Perpustakaan Negara Malaysia Data Pengkatalogan-dalam-penerbitan

[An-Nubuwwah Bayna Al-Mutakallimin wa Al-Falasifah-Dirasah Muqaranah]
Abdul Shukor bin Husin / النبوة بين المتكلمين والفلاسفة – دراسة مقارنة
Bibliografi
ISBN 983-41007-2-8

1.Prophets (Islam) 2.Islam-Doctrines I. Judul

297.246

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب هدايةً ونوراً وبعث الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين ، واصطفى محمداً ﷺ نبياً خاتماً للأنبياء والمرسلين، ورحمة للعالمين؛ جاء إلى الإنسانية بالحق هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فطهر العالم من الرجز والشرك والضلال، وعلم البشر جميعاً الحضارة الحقة والمدنية الرشيدة، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور فصلوات الله وسلامه عليه، ورضي الله تعالى عن آله وأصحابه الغرّ الميامين، ومن نهج نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد :

فإن مسألة إثبات وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته ليست مشكلة دينية لأن وجود الله تعالى - كما يقول العلماء - مركوز في الفطرة الإنسانية، فأينما وجه الإنسان بصره وعقله في نفسه وفي الآفاق يجد له آية من آيات الله تعالى.

ولكن القضية الأساسية في الدين هي الاستدلال على النبوة واثباتها، و تحقيق صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأنها قضية تتعلق بالبشرية، ولها تأثير بالغ في مجرى الحياة الفكرية والعملية للإنسانية، إذ أنها تحمل في ثناياها إثبات الكثير من المسائل التي قد يعسر على العقل البشري إدراكها والإحاطة بها، منها : إثبات خالق للكون ليس كمثله شيء له الخلق والأمر، ودعوى اتصال الإنسان المحدود بذلك الموجود الكامل في ذاته

وصفاته، وتلقى المعارف عنه بطريقة خفية لا تخضع للوسائل المعروفة، ثم إمكانية ظهور خوارق العادات التي يعجز العقل والعلم عن تفسيرها . وتتضمن كذلك دعوى امتياز الرسل المبعوثين على غيرهم من البشر في خَلقهم وخُلقهم وغيرهما حتى وصلوا إلى درجة الكمال البشري والعصمة، وإثبات منهج واحد للناس في أمور الدين والدنيا، وأحوالهم في معاشهم ومعادهم.

لهذه الاعتبارات وغيرها فإن موضوع النبوة مبحث واسع المجال حيث اختلفت الآراء في هذه القضية مفهوماً وعرضاً وإثباتاً، كما كانت مجالاً للطعن في الأديان السماوية من منكري النبوة وجاحديها .

لهذه الأهمية فقد تعرض الباحثون قديماً وحديثاً من المسلمين – بطوائفهم المختلفة – حسب اتجاهاتهم ومناهجهم، بل لم تخل بحوث غير المسلمين من هذه القضية إنكاراً أو إثباتاً .

ومن أبرز علماء الإسلام وأكثرهم تعرضاً لهذه القضية علماء الكلام – على اختلاف طوائفهم وتعدد فرقهم – وفلاسفة المسلمين، وهم إن كانوا أقل عدداً من المتكلمين لكنهم كثيرون في أنفسهم ولهم آراء ونظريات مختلفة، وهي طائفة عظيمة لا سيما في أعين المثقفين. وكان لهؤلاء وهؤلاء مناهجهم الخاصة ونظرياتهم الدقيقة في هذه القضية، ولهم ردودهم المفحمة على الملحدين والمارقين والمنحرفين.

ومما لا شك فيه أن هذه الأعمال لا ينكر فضلها، إلا أن بين الطائفتين اتجاهات ومناهج واسعة الاختلاف، وهذه الاختلافات بعضها يصل إلى درجة التناقض، حتى كان لكل من الفريقين مؤيدون ومعارضون.

وبعد القراءات الكثيرة في كتبهم، والاطلاع الواسع على آراء كل من الفريقين، والوقوف على هذه الاختلافات رأيت أنه لا بد من الخوض في هذه الخلافات الشائكة لأعرف أي الفريقين أقرب إلى الصواب، واخترت الميزان العادل الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1]، وهو القرآن الكريم حاكماً في المقارنة بين الفريقين، وقد اضطرني ذلك إلى اطلاع واسع وفهم دقيق لكتب التفسير والحديث.

وأنا على يقين أنّ هذا العمل ليس مجرد بحث علمي نظري فحسب بل له علاقة بالعقيدة والحياة العملية.

ومن الواقع الذي لا ينكر أنّ كثيراً من علمائنا الأبرار سلفهم وخلفهم، وكبار المؤلفين المعاصرين، لهم جهودهم الفذة وبحوثهم القيمة في هذا المقام وهي جهود تذكر ولا تنكر وقد أفادني كثير منها في بحثي هذا، غير أن الأبحاث التي كتبت في موضوع النبوة إما عامة أو تاريخية أو تعرض لرأي طائفة معينة في جزئية من جزئيات موضوع النبوة أو نحو ذلك، ولم أر فيما علمت من كتب في هذا الموضوع كتابة شاملة مستوعبة مقارناً بين المتكلمين وفلاسفة الإسلام وموازناً بينهم موازنة دقيقة، وبيّن من هو أقرب إلى ذلك الميزان العادل، وكذلك في توضيح طبيعة الاتهامات ومدى صحتها من جانب

---

(١) فصلت ٤١/٤٢.

المتكلمين إلى الفلاسفة وبالعكس، فاستخرت الله العليم القدير، فشرح صدري للكتابة في هذا الموضوع.

ويأتي هذا الكتاب في :

مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة .

فالمقدمة : تبين موضوع الكتاب وطبيعته والخطة التي انتهجتها، ثم يجيء بعد ذلك التمهيد، وقد أشرت فيه إلى مسألتين هما: الإيمان بالأنبياء ومكانتهم في الإسلام وقد تضمن ذلك الحديث عن الإيمان بالأنبياء إجمالاً وتفصيلاً ونبوة محمد ﷺ في رسالته وختمه للنبوة، وأنه لا خلاف بين أهل الكلام وفلاسفة المسلمين في هذه الحقائق الثابتة من أسس العقيدة الإسلامية، فلم يشذ أحد من المسلمين فيها، لأن من أنكر شيئاً منها فقد خرج عن عقيدة الإسلام الصحيحة.

ثم اتبعت ذلك بإشارة سريعة موجزة إلى منهج كل من المتكلمين والفلاسفة في مسائل العقيدة عامة وفي عقيدة النبوة خاصة، بعد أن مهدت لدراسة ذلك برأي السلف فيها لما أحسسته من أهمية ذلك ليكون منطلقاً واضحاً إلى معرفة اتجاهاتهم ومناقشاتهم للموضوع.

أما الباب الأول ففي مفهوم النبوة وحكمها وحكمتها ، وقسمته إلى أربعة فصول :

بينت في الفصل الأول : مفهوم النبي والرسول لغةً واصطلاحاً عند علماء الكلام والفلاسفة والعلاقة بينهما عند كل من الفريقين، وقارنت بينهما

بما ورد في القرآن الكريم في هذا الصدد مع بيان مدى قرب كل منهم إلى روح القرآن أو بعده عنه.

واخترت الفصل الثاني لدراسة الوحي : مفهومه وطرقه وأنواعه وكيفياته عند المتكلمين والفلاسفة، وأوضحت مدى الخلاف بين الفريقين، ثم مدى الخلاف بين بعضهم مع البعض الآخر، مع التعقيب والمقارنة في ضوء القرآن والسنة.

وفي الفصل الثالث : تكلمت عن حكم إرسال الرسل عند طوائف المتكلمين والفلاسفة، وأظهرت أوجه الخلاف ومدى التقارب بينهم كما حاولت التوفيق بين الآراء المختلفة في هذه المسألة باعتبار المعنى المقصود لكل طائفة.

أما الفصل الرابع : ففي حكمة إرسال الرسل وحاجة البشر إليهم مبيناً وجه الاتفاق والاختلاف عند المتكلمين والفلاسفة في تعليل هذه الضرورة، ورأيت أن لا خلاف بين طوائف المتكلمين في ضرورة النبوة للعامة والخاصة وإن خالف في ذلك الفلاسفة، وقد علقت على رأي كل من الفريقين، ثم قارنت بينهما مهتدياً بالقرآن الكريم، ومشيراً إلى ما بذله المفكرون من جهد للوصول إلى هذه الحقيقة، وقد وصلت إلى أن العقل البشري قاصر عن إدراك هذه الحقيقة إدراكاً كاملاً.

وجاء الباب الثاني : في إثبات النبوة وخواص الأنبياء، وقد خصصته لدراسة قضية إثبات النبوة وخواص الأنبياء، وهو كذلك في فصول أربعة.

تكلمت في الفصل الأول : عن طوائف منكري النبوة قديماً وحديثاً، والشبهات التي أثاروها إنكاراً للنبوة والوحي وما يتعلق بهما من التكليف والمعجزة، وركزت على جهود المتكلمين والفلاسفة في الرد على هذه الشبه مع التعقيب والمقارنة. ثم أبرزت بالتفصيل ما أثاره بعض علماء الغرب في مسألة الوحي من فكرة العقل الباطن أو الشخصية الثانية، وبينت مدى خطورة هذه الفكرة التي آمنوا بها لأنها في الواقع إنكار لحقيقة النبوة، وكذلك الشبهة الموجهة إلى الوحي بأنها وليدة طاقة فكرية أو ظاهرة مرضية، والرد عليها بالنصوص والعقل والواقع التاريخي وبالأبحاث الطبية.

أما الفصل الثاني : فقد تناولت فيه منهج كل من المتكلمين والفلاسفة في إثبات النبوة، وأوضحت أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما ثم اتبعت ذلك ببيان منهج القرآن الكريم في إثبات النبوة، فوجدت أنه في هذا المجال كغيره من مجالات العقيدة يقوم على الأسس العامة للمنهج القرآني حيث أنه لم يقتصر على مجرد حكاية المعتقد، وإنما أقام الدعوى وبرهن وحكى مذاهب المخالفين وقام بدحضها وإبطالها بالحجة، فهو منهج متكامل فطري يخاطب جميع طبقات البشر على اختلاف عقولهم. وقد أفضت في التعقيب على منهج كل من الفريقين مع المقارنة محتكماً إلى القرآن الكريم في ذلك.

أما الفصل الثالث : فكان الكلام فيه عن خواص الأنبياء وصفاتهم عند كل من المتكلمين والفلاسفة وقد أعطيت النصيب الأوفر لمناقشة هذه الخواص والصفات التي يفسر بها أكثر فلاسفة المسلمين النبوة والوحي والمعجزة مبيناً إلى أي مدى تعتمد النبوة على مبدأ الاصطفاء الإلهي، قولياً وفعلياً،

وكاشفاً في الوقت نفسه - اعتماداً على نصوص الفلاسفة وأقوالهم - عن كون هذه الخواص فطرية وليست مكتسبة، وأشرت بعد ذلك إلى محل طعن المتكلمين وعلماء الإسلام على الفلاسفة، وعقّبت على رأي كل من الفريقين، ثم قارنت بين آرائهم في ضوء معطيات مفهوم القرآن والسنة.

وقد خصصت الفصل الرابع: للبحث في عصمة الأنبياء: مفهومها وأقسامها وأدلتها عند أهل الكلام والفلاسفة، وناقشت بالتفصيل كل نوع من أنواعها مع التمثيل، ثم بينت بعض الشبهات الموجهة إلى العصمة، وأتيت بنموذج لكل من أنواعها، وركزت على جهود المتكلمين والفلاسفة في الرد على هذه الشبهات مع التعقيب، وختمت بالنصوص وهي امتداح الله لهم وثناؤه عليهم في كتابه العزيز، فهي في الحق شهادة من الله تعالى بالسمو والكمال البشري للبراءة مما يعيبهم وليس بعد شهادة الله شهادة ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾[٢].

وجعلت الباب الثالث: نبوة محمد ﷺ، دراسة خاصة لنبوة خير الأنام محمد بن عبد الله ﷺ وقد احتوى هذا الباب على تمهيد وفصلين:

عالجت في التمهيد أهمية دراسة نبوة محمد ﷺ في حقل دراسة النبوات والرسالات السماوية وأشرت إلى منهج أهل الكلام وفلاسفة المسلمين خاصة في إثبات نبوة محمد ﷺ إلى جانب المنهج العام، ثم تحدثت عن معارضي نبوة محمد ﷺ وشبههم ورد أهل الكلام والفلاسفة على هذه الشبهة مع التعقيب، فاستخلصت أن الشبهات الموجهة إلى نبوته ﷺ بأنواعها ليست إلا بغياً وعناداً من أصحابها.

---

(٢) الأنعام ١٩/٦.

وفي الفصل الأول : من هذا الباب تعرضت لبيان عموم رسالة محمد ﷺ وكمالها بكل جوانبها من حيث موضوعها والمرسل إليهم من الإنس والجن في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وبينت موقف أهل الكلام والفلاسفة الموحد في إثبات هذه الحقائق، وأشرت إلى اعتراف الباحثين الغربيين المنصفين الذين عايشوا الإسلام معايشة نظرية دون الإيمان والعمل. ورجعت إلى النصوص الدينية التي تعالج كل جزئية من جزئيات هذه القضية فأوضحت بذلك أن ما أشار إليه جماعة من اليهود كالعيسوية وغيرهم أن النبي ﷺ مبعوث إلى العرب لا يلتفت إليه.

أما الفصل الثاني : والأخير من هذا الباب فقد عقدته لبيان ختم النبوة بنبوة محمد ﷺ وأبعادها في الفكر الإسلامي وأثرها في الأمة الإسلامية عقيدة وعملاً. وأوضحت آراء المتكلمين والفلاسفة واتحاد موقفهم في معالجة هذه القضية وإثباتها منهجاً وتطبيقاً. ثم تحدثت عن الحركة المناهضة لعقيدة ختم النبوة منذ فجر التاريخ الإسلامي إلى عصرنا الحاضر، ظهورها وأهدافها الخاصة والعامة وتعاليمها ومن وراء هذه الفتنة، معقباً ببيان موقف علماء الإسلام جميعاً من هذه الفتنة وردودهم على هذه الفتنة وانتهيت إلى أن من له أدنى مسكة من العقل يعرف مدى كذبهم وافترائهم من ثنايا أقوالهم.

ثم أنهيت هذا الفصل بملاحظة مهمة تتصل بموقف الفلاسفة من عقيدة ختم النبوة وذلك لأن كتب المتكلمين تتضمن اتهامهم للفلاسفة بأن مذهبهم يعارض عقيدة ختم النبوة، وهذا القول بكسبية النبوة يترتب عليه إنكار هذه العقيدة، وقد فصّلت القول في العوامل والأسباب التي تؤدي إلى

هذه التهمة، فاكتشفت بعد دراسة دقيقة محايدة عدم صحة هذا الاتهام فهو ليس إلا من قبيل المبالغة وتشنيع الخصوم على خصومهم، وبينت عدم صحة هذا الاتهام ببيان شاف وأدلة صريحة، وقد توصلت إلى ذلك من نصوصهم الواضحة التي تفيد إقرارهم واعتقادهم الجازم بعموم رسالة محمد ﷺ وأنها خاتمة الرسالات السماوية وأنه خاتم الرسل فلا رسالة ولا نبي بعده.

وبعد تلك الجولات كلها رأيت أن خير ما يتبع في هذا الصدد وغيره هو القرآن الكريم فإنه كفيل بإظهار عقائد الدين وإثباتها، وكذلك بالدفاع عن حياض الإسلام ورد مزاعم المنافقين والملحدين، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[٣].

وفي خاتمة الكتاب سجلت أبرز وأهم النتائج التي انتهيت إليها في دراستي ثم قدمت بعض الاقتراحات التي أرى أنها مفيدة للراغبين في العلم والمعرفة وسائر الغيورين من أبناء الأمة الإسلامية.

وبعد،

فأرجو أن يأتي هذا الجهد المتواضع على الصورة اللائقة بالأبحاث العلمية، وأن يسهم في تنمية الفكر الإسلامي وثرائه، لأني لم أدخر وسعاً أو جهداً استطعت بذله في الوصول إلى تلك الصورة إلا وقد بذلته، كالحصول على المصادر الأصلية وفهمها وتحقيق صحتها لا سيما كتب الفلاسفة، وحرصت بقدر الإمكان أن لا آخذ أي رأي إلا من أصحابه، وقد تجاوزت

---

(٣) المائدة ٥/٣.

جميع الصعوبات المضنية التي لاقيتها طوال إعداد هذا الكتاب والتي لا داعي لذكرها لأن ذلك من الواجب على الباحث العلمي.

وقد رتبت هذا الكتاب أحسن ترتيب ممكن على وفق المنهج العلمي في الدراسات المتخصصة، ورتبت المصادر على حروف المعجم، وعلى رأسها القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث، ثم بقية المصادر، وذكرت في نهاية الكتاب فهرساً مفصلاً لموضوعات البحث حتى يكون ذلك أيسر للاطلاع على مباحثه.

وبعد ذلك كله أقول إن كنت قد حققت شيئاً من المراد في هذا الكتاب، فإن ذلك بهداية الله وتوفيقه وبفضل إرشادات وتوجيهات شيوخي وأساتذتي الأجلاء.

أما إذا كان فيه قصور فيكفي أنها محاولة من باحث راغب في الاطلاع والتعمق في دينه وثقافته.

وأخيراً فيسرني أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير، والعرفان بالجميل إلى كل من مدَّ يد المساعدة في تأليف هذا الكتاب وإعداده، فجزاهم الله جميعاً عني خير الجزاء.

وأسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم نافعاً لي وللناس جميعاً، وأن يلهمني التوفيق والسداد ويجنبني الزلل، لخدمة ديننا الحنيف ورفع راية العلم وإعلاء كلمة الله، إنه نعم المولى ونعم النصير. وصلى الله على محمد وسلم وعلى أنبيائه ورسله أجمعين، ورضي الله عن

الصحابة والتابعين، ومن نهج منهجهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

عبد الشكور بن الحاج حسين سعيد

النبوة بين المتكلمين والفلاسفة

إن مسألة إثبات وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته ليست مشكلة دينية لأن وجود الله تعالى مركوز في فطرة الإنسان ونفسه، بل نجد آيات الله البينة الدالة في الآفاق.

ولكن القضية الأساسية في الدين هي الاستدلال على النبوة وإثباتها، وتحقيق صدق الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) لأن هذه القضية تتعلق بالبشرية كلها، ولها تأثير في الحياة العلمية والعملية للإنسانية. وقد تعرض الباحثون لهذه القضية - بطوائفهم المختلفة - حسب اتجاهاتهم ومناهجهم.

هذا الكتاب يفصل هذه القضية القديمة والجديدة ويتناول آراء ومناهج علماء الكلام وفلاسفة المسلمين، وردودهم المفحمة على الملحدين والمنحرفين، متبعا في ذلك منهج القرآن الكريم أتباعا للحقائق وردا للدواعي.

إن هذا الكتاب ليس مجرد بحث علمي نظري فحسب، بل له علاقة بالعقيدة وحياة المسلم العملية.

ISBN 983-41007-2-8